تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

مَن يقود الحرب: إسرائيل أم الولايات المتحدة؟ ومَن يخرج أولاً: نتنياهو أم بايدن؟

انطلق السباق الرئاسي الاميركي في ظروف غير مؤاتية للرئيس جو بايدن الذي دهمته حرب غزة واستنفدته حرب اوكرانيا، ويعاني من تراجع في شعبيته ويعيش هاجس دونالد ترامب وعودته المرجحة الى البيت الابيض. الاهم ما يواجهه من تعقيدات الوضع الداخلي الاسرائيلي الذي لا يسمح بتنفيذ الخطط الاميركية، ومن مأزق العلاقة مع حكومة نتنياهو، فلا التعامل الايجابي معها ممكن ومفيد، ولا الاطاحة بها امر سهل ومتاح

يمارس وزراء اليمين المتطرف (بن غفير وسموتريتش واخرون من "الليكود") ضغوطا قوية على رئيس الحكومة الاسرائيلية بنيامين نتنياهو للاستمرار في الحرب حتى تحقيق اهدافها المعلنة، من دون الالتفات الى ضغوط ادارة الرئيس الاميركي جو بايدن، ويضغطون عليه لعدم السير في صفقة مع حماس تتضمن وقفا لاطلاق النار او حتى هدنة طويلة الامد، او على اطلاق اسرى فلسطينيين بكميات كبيرة، او السماح بعودة الفلسطينيين الذين تم تهجيرهم من شمال القطاع الى جنوبه، والا فانهم سيبادرون الى تفكيك الائتلاف الحكومي. وقد ادت هذه الضغوط الى تراجع نتنياهو وتجميد المفاوضات مع حماس، بعدما كانت حققت بالفعل "تقدما اميركيا". ولم تقتصر ضغوط اليمين المتطرف على الصفقة مع حماس، وانما شملت ايضا موضوع الانتخابات المبكرة التي كان نتنياهو في صدد الموافقة على اجرائها تحت وطأة الشارع الغاضب الذي عاود تحركه ولم يعد في امكانه تحمل هذه الحكومة.

الضغوط تنصب على نتنياهو من جهة الاميركيين ايضا، ويضغطون عليه ليس فقط لانهاء الحرب وابرام صفقة مع حماس، وانما ايضا للسير في نهج جديد لفتح افق سياسي لعملية سلام اقليمية ترمي الى سلام شامل مع العرب، بما يشمل اضافة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل. مثل هذا الامر لا يلائم حكومة نتنياهو وبرامج اليمين المتطرف الذي يحضون نتنياهو على عدم التأثر بالضغوط الكلامية والمشاريع التي تطرح لتسوية سياسية شاملة "فلا يعقل ان نخرج من هذه الحرب بجائزة دولة فلسطينية لاعدائنا"، كما يقولون... وهذا "الضغط المزدوج" من واشنطن ومن داخل حكومته، يضع نتنياهو في موقف صعب ودقيق، والى حد ما في حالة "فقدان التوازن". فهو لا يزال يعمل على تظهير تصلبه مرجئا اتخاذ قرار وقف الحرب عبر صفقة تبادل اسرى، مراهنا على عامل الوقت عله يأتيه بما يمكنه من انهاء القتال مع انجازات.

يريد الرئيس الاميركي وبالحاح وقفا موقتا للحرب في غزة، وهدنة تمتد الى ستة اسابيع، يريد ذلك لاسباب انسانية وسياسية. فالوضع في غزة كارثي ويحتاج الى "اغراق" القطاع بالمساعدات ومن الجو والبحر اذا تعذر ذلك على الارض. وادارة بايدن تحتاج الى احتواء الانتقادات الداخلية التي تحد من زخم انطلاقته في السباق الرئاسي، والى امتصاص اجواء النقمة المتعاظمة في العالمين العربي والاسلامي، والى السيطرة على مجريات الامور والاحداث... وذلك لن يكون الا بكسر الحلقة المفرغة التي تدور فيها الحرب منذ خمسة اشهر، وارساء هدنة قابلة للتطوير وفتح افق سياسي عبر تحويل الدولة الفلسطينية الى فكرة هادفة ومشروع حل طويل الامد.

لكن نتنياهو لا يساعد بايدن في انجاز ما يريده ويخطط له، لا بل يعاكسه، وبدل ان يكون متعاونا ومسهلا، بات عامل عرقلة وتخريب للسياسة الاميركية، ولا يفعل شيئا للحد من مخاوف واشنطن التي بات لديها لائحة طويلة من الانتقادات والمآخذ:

- التصريحات المتطرفة الصادرة عن وزراء اليمين المتطرف بعلم نتنياهو وموافقته، التي تعرقل التوصل الى ابرام صفقة مع حركة حماس لاطلاق الرهائن وفرض وقف لاطلاق النار لستة اسابيع.
- اعمال العنف التي يرتكبها المستوطنون في الضفة الغربية، والتي يمكن، خصوصا اذا لم يتوقف القتال في غزة في شهر رمضان، الى تفجير الوضع في القدس والضفة، والى قيام انتفاضة فلسطينية مسلحة ووضع خطير.
- خطة اجتياح رفح جنوب قطاع غزة التي وضعتها اسرائيل وترفضها الولايات المتحدة اذا لم تكن مسبوقة بخطة تحييد المدنيين (حماية واجلاء).
- الرفض الاسرائيلي القاطع لمشروع الدولة

> **اليمين المتطرف يهدد بتفكيك الائتلاف الحكومي اذا اوقف نتنياهو الحرب**

الفلسطينية، والذي ترجم في قرار للحكومة وتصويت للكنيست، وترافق مع دعوات الى ابقاء قطاع غزة تحت السيطرة الامنية والعسكرية الاسرائيلية، واعادة الاستيطان اليه... هذا المسار الاسرائيلي المتطرف يعزز التشاؤم الاميركي حيال امكانية التوصل الى اتفاق تطبيع بين اسرائيل والسعودية، باعتبار ان "مفتاح التطبيع" هو في يد نتنياهو الذي عليه ان ينفذ خطوات كبيرة في الموضوع الفلسطيني، وان يتعهد بالتزام مسار يوصل مستقبلا الى دولة فلسطينية، لكي يتمكن ولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان من التقدم نحو "اتفاق سلام وتطبيع".

ترسخ لدى بايدن وفريقه انطباع واعتقاد، بأن نتنياهو يتصرف من خلفية انه غير معني الان بـ"صفقة" ويسعى لتخريبها. وهو يفعل ذلك ليس لانه مؤمن بتحقيق مكاسب عسكرية واستراتيجية في استمرار الحرب التي يعرف انها استنفدت اغراضها، ولكن لانه خائف على مكانته وموقعه في رئاسة الحكومة، ولانه يريد ان يبقى رئيسا للحكومة بأي ثمن... ضاق بايدن ذرعا من نتنياهو والتعامل معه، ووصل الى قناعة راسخة وهي ان استمرار سياسات نتنياهو في العناد السياسي والتصعيد والتخريب لكل اتفاق سياسي ممكن قد يفيده في تدعيم شعبيته وفي استمالة اليمين المتطرف شريكه في الحكومة، لكنه بالتأكيد اصبح يشكل ضررا بالغا على شعبية بايدن في معركته الرئاسية، وفي مكانته امام حلفائه في اوروبا وفي الشرق الاوسط.

وفي ضوء هذه القناعة، بدأت واشنطن تلوح لاسرائيل باوراق الضغط الصغيرة والكبيرة، بدءا من ارسال المساعدات الى غزة بشكل مباشر، مرورا بتمرير فكرة فرض عقوبات على من يحرك المستوطنين في الضفة واولهم الوزير المتطرف بن غفير، وصولا الى امكان التوقف عن التصويت ضد قرارات وقف النار في مجلس الامن، وعن استخدام الفيتو الاميركي.

زيارة الوزير بني غانتس الى واشنطن اندرجت في اطار الضغوط التي تمارسها ادارة بايدن على نتنياهو وحكومته لاظهار المرونة والانسجام مع الخطط والمصالح الاميركية. غانتس هو رجل الاميركيين في اسرائيل، وهم من دفعوا في اتجاه ادخاله (مع ايزنكوت) الى الحكومة لاختراقها والحد من تطرفها، ولكي يكون البديل عن نتنياهو في رئاسة الحكومة المقبلة، حكومة ما بعد الحرب وما قبل التسوية. والرسالة التي وجهها الاميركيون الى نتنياهو من خلال زيارة غانتس فحواها: "لقد خاب املنا فيك، وفي محاولاتنا للتوصل الى تفاهمات معك. الان سنتحدث مع من يتعاون معنا، وربما في وقت قريب سيحل مكانك في رئاسة الحكومة الاسرائيلية (التي انضم اليها غانتس "لاسباب وطنية"، ومن اجل اظهار التضامن ضد ما يسمى "الهجوم الارهابي لحماس في 7 اكتوبر").

كان غانتس عكس منذ البداية رؤية مختلفة عن نتنياهو، وانتقد الذين يفتعلون المشاكل في العلاقة بين تل ابيب وواشنطن، وشعر ان نتنياهو قرر ان يفعل ما يريد دفاعا عن مصالحه الشخصية، حتى لو كان ثمن ذلك العلاقة بينه وبين ادارة بايدن... وتاكد غانتس من ذلك حينما ذكر نتنياهو امامه في اجتماع لمجلس الحرب "انا وحدي القادر على ترويض ادارة بايدن، وهناك استحالة ان تنجح هذه الادارة في ممارسة ضغوط علي في الحرب على حماس". من جهة اخرى، كان غانتس يسمع كلاما اميركيا مفاده: "ان نتنياهو لا يتصرف بشكل عاقل ومنطقي، بل يتعمد بشكل مدمر تخريب اي صفقة نتقدم بها اليه. نحن في حاجة الى لقاء عاجل معك في واشنطن لانقاذ الوضع".

تفاقم الخلاف بين بايدن ونتنياهو بعد نشر الاستخبارات الاميركية تقديراتها السنوية، والتي افادت بعدم قدرة نتنياهو على البقاء في حكمه، وان الاحتجاجات ضده ستزداد مع مرور الوقت، ما اجبر مسؤولا اسرائيليا كبيرا على الرد على ذلك التقرير ووصفه بالتدخل الاميركي بالشؤون ◄

السياسية الاسرائيلية، مضيفا ان اسرائيل ليست محمية تتبع لاميركا. ونقلت "القناة 12" الاسرائيلية عن مسؤول اسرائيلي كبير ان نتنياهو غضب بسبب تقرير CIA الذي يشير الى احتمال فقدانه السلطة، وانه عقب ذلك، قرر خوض مواجهة قوية مع بايدن. فاسرائيل تتوقع من واشنطن اسقاط حماس وليس حكومة اسرائيل.

في الواقع، وضع بايدن نتنياهو امام خيارين: اما ان يغير حكومته، واما ان يسقط هو مع حكومته. يتصرف الاميركيون من خلفية ان الكرة حتى الان في ملعب نتنياهو الذي عليه اما ان يقرر الموافقة على الخطة الاميركية لتمرير صفقة اطلاق الرهائن، ولوقف الحرب والتدهور الامني في الشرق الاوسط كله، واما ان يبقي على حكومة اليمين المتطرف ويدخل في صدام مع واشنطن ومع المعارضة والرأي العام في اسرائيل، ويفرض عليه التوجه الى انتخابات مبكرة.

لا يحبذ الاميركيون اسقاط نتنياهو في هذه المرحلة وابداله بغانتس، بل يفضلون بقاءه بغض النظر عن اشكالياته ومصداقيته، لانه الوحيد القادر على اقناع الاسرائيليين بالخطة، والوحيد القادر على محاربتها واسقاطها. ويميل الاميركيون الى احداث تغيير في حكومة نتنياهو باخراج حلفائه الوزراء المتطرفين (بن غفير وسموتريتش) الذين يريدون توسيع الحرب واطالة امدها لبقائهم في السلطة، وباقناع خصومه (لابيد وليبرمان) بالدخول الى الحكومة مقابل تعهد من نتنياهو بعدم رفض مشروع "حل الدولتين" كممر الى اتفاقات السلام والتطبيع مع السعودية والدول العربية.

"اسرائيل تفقد اصدقاءها. هناك تآكل سريع متزايد لموقفها بين الدول الصديقة، وهو مستوى القبول والشرعية الذي بنته بشق الانفس على مدى عقود. واذا لم يكن الرئيس جو بايدن حذرا، فان مكانة اميركا العالمية ستنهار مع مكانة اسرائيل".

هذه خلاصة "رسالة عاجلة الى بايدن والشعب الاسرائيلي" وجهها الكاتب والمحلل السياسي الاميركي توماس فريدمان، محذرا من ان نتنياهو على استعداد للتضحية بالشرعية الدولية التي اكتسبتها اسرائيل بشق الانفس من اجل احتياجاته السياسية الشخصية. وانه لن يتردد في اسقاط بايدن معه. ولكن النقطة الاكثر اهمية، هي ان الفرصة الفريدة لتقليص حجم حماس بشكل دائم، ليس فقط كجيش بل وكحركة سياسية، تضيع الان، وذلك لان نتنياهو يرفض تشجيع اي احتمال، مهما كان طويل الامد، لبناء حل الدولتين، ولان الاسرائيليين المصدومين من هجوم 7 اكتوبر يرون ان اي جهد للتحرك ببطء نحو دولة فلسطينية تقودها سلطة فلسطينية متحولة ومشروطة بالتجرد من السلاح وتحقيق اهداف معينة هو هدية للفلسطينيين او مكافأة لحماس.

ويرى محللون اميركيون ان اسرائيل اليوم تخسر على ثلاث جبهات في الوقت نفسه:

- تخسر فكرة انها تخوض حربا عادلة.

- لا تخطط للخروج من غزة، لذا ستغرق في الرمال هناك مع احتلال دائم سيؤدي الى تعقيد العلاقات مع جميع حلفائها واصدقائها العرب في جميع انحاء العالم.

- تخسر اقليميا امام ايران ووكلائها المناهضين لاسرائيل في لبنان وسوريا والعراق واليمن، الذين يضغطون على حدود اسرائيل الشمالية والجنوبية والشرقية.

في رأيهم ان هناك حلا واحدا يساعد على الجبهات الثلاث، وهو قيام حكومة اسرائيلية مستعدة لبدء عملية بناء دولتين قوميتين لشعبين. مع وجود سلطة فلسطينية مستعدة حقا ومتشوقة للتحول. فهذا يغير قواعد اللعبة ويوفر الغطاء لحلفاء اسرائيل العرب للدخول في شراكة مع اسرائيل في اعادة بناء غزة، ويرسخ التحالف الاقليمي الذي تحتاج اليه اسرائيل لمواجهة ايران ووكلائها.

مع كل ذلك، يبقى السؤال مطروحا: هل ما تقوم به واشنطن الان هو بالفعل اعلان نهائي لنفاد صبرها على سياسات نتنياهو؟ ام ان ادارة بايدن اختارت ان تمارس لعبة ضغط نفسي على سلوك نتنياهو لانجاز اتفاق الهدنة وتبادل الاسرى؟ وهل ما نشهده هو نهاية رهان ادارة بايدن على نتنياهو؟ ام محاولة تليين عبر التلويح بالرهان على رئيس وزراء جديد قادر على ان يهدم التحالف الحالي ويدفع نحو حكومة جديدة؟ وهل يملك بني غانتس من الخبرة والقوة ما يكفي ليلعب هذا الدور؟ من يلوي ذراع الاخر، ومن القادر على ترويض الاخر، ومن يغادر اولا نتنياهو ام بايدن؟